شكلت الحالة المرضية المستعصية التي عاشها السياب – أكثر من ثلث عمره القصير – محنته الذاتية الكبرى ، حيث غلبت عليه – نفسيا وفنيا – نبرة العليل المبتلى ، اليائس من الشفاء ، المترقب للموت بين لحظة و أخرى . لهذا جاءت أشعار السياب – و هو أسير تلك الحالة – أقرب إلى زفرات ألم ، وآهات إنسان مكدود مأزوم ، بعد أن استحوذت عليه محنة المرض و ترقب الموت ، و أصبح ينظر إلى الدنيا و الناس – بل و نفسه – من خلال المرض و الموت وارتباطهما بآلية الزمن الموزقة ، حيث يفقد المستقبل كل معاني الرجاء أو انتظار العاقبة و الأمل . " و الأديب من أكثر الناس إحساسا بقيمة الزمن ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، لأن تجربته الإبداعية تدخل في نطاق هذا الزمن بأشكاله المختلفة ، و من ثم فإن إحساسه بالماضي و التاريخ ينبع أساسا من عمق تجربته الإبداعية ، ومعايشته للزمن قبل و أثناء و بعد الكتابة " [1]

يقول السياب في قصيدته (في المستشفى) من ديوانه (شناشيل ابنة الجلبي) و التي كتبها في أحد مستشفيات لندن عام ١٩٦٣ ، قبل موته بشهور :

كمستوحد أعزل في الشتاء
وقد أوغل الليل في نصفه ،
أفاق فلوقظ عين الضياء

---

[1] وجيه يعقوب – الرواية و التراث العربي – جريدة ٧٣

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد خاف من حتفه ،

أفاق على ضربة في الجدار ـ

هو الموت جاء !

و أصغى : أذاك انهيار الحجار

أم الموت يحسو كؤوس الهواء ؟

لصوص يشقون دربا إليه

مضوا ينقبون الجدار .

وظل بعد انهيار التراب

ورفع الكؤوس على مسمعيه .

يكاد يحس التماع الحراب

و حرقتها فيه .. يا للعذاب !!

وما عنده غير محض انتظار :

هو الموت عبر الجدار !

.....

و لا شيء غير انتظار ثقيل .

ألا فافرقوا ، يا لصوص ، الجدار

فهيهات ، هيهات ، مالي قرار ! [1]

يطرق السياب أبواب الأمل خلال طلبه للعلاج بين العديد من المستشفيات العربية و الأوربية ، حتى يتملك منه إحساس العجز و اليأس ، و يعاني في كل

---

[1] السياب ـ الأعمال الكاملة م ١/٦٧٦ـ٦٧٧ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عضو من أعضائه . وهنا تنفجر مصادر طاقته الزمنية الخاصة ، فتتعاظم حساسيته المفرطة :

للأزمنة : (ماضية / حاضره / مستقبله) .

و الفصول :(الشتاء / الصيف / الربيع / الخريف) .

و الأوقات:(المساء / الصباح / الغروب / الشروق ...)

تختلط الرؤى ، تتزاحم المفاهيم ، تتداخل المعاني ، و تتساقط الحدود الفاصلة بين (أزمنته و فصوله و أوقاته) حيث تتصهر تجربته الزمنية ، و تتسع بلا عمق أو بؤرة مركزية ينطلق من خلالها ، مرجع ذلك دوران الشاعر في فلك المحنة و الوجيعة ، بإحساس المبتلى المنفعل ، وليس بمنطق الهادئ المتأمل .

" و الفعل الشعري بحد ذاته يضحي في بعض معانيه محاولة من الإنسان – الشاعر لتخليد آنية معينة من الزمن من خلال فنية تصويرها و عبر توصيلها إلى الآخر/ الجماعة و من أبرز تقنيات هذا التخليد هو أن يجعل الشاعر الدفق الوجداني الذي يعايشه و يبغي توصيله امتدادا / استمرارا في الماضي وطموحا إلى المستقبل . إنها ضربة العازف على الوتر : هذه الضربة التي لا يمكن لها أن تحدث النغم أو الرنة المطلوبة إلا إذا كان الوتر مشدودا إلى قطبين . وفي حالة الفعل الشعري ، فالقطبان الأساسيان هما الماضي و المستقبل ، أما منطلق الضربة فهو الحالي أو الآني. الشاعر إذن ، ومن هذا التصور بالذات ، لا يسعى فقط إلى الخلود في الآني من الزمن ، إنه يطمح أيضا إلى ربط دفقة الوجدان بالماضي ، بالتراث : بالذاكرة الجمعية للقوم ، عساه يكون أكثر خلودا و قدرة على التوصيل . و لعله من خلال هذا التصرف يسعى إلى تأكيد قوة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حضوره و محاولته قهر عذاب الفناء و ألم الغربة الذين يعايشهما كل إنسان " .[1]

في الأبيات السابقة من قصيدته (في المستشفى) يعبر السياب عن تلك اللحظات الزمنية المؤرقة التي تمر عليه وهو طريح أحد مستشفيات لندن ، يعاني آلام المرض ، ووجع الغربة ، حيث يذوب (الألم في الزمن) ، وتتغمس (الغربة في الوقت) ، ويتجدد (الحزن في الفصول) ، و تكون المحصلة النهائية – بأبعادها الثلاثة – لتنوية الشاعر الزمنية هي :

[الألم / الغربة / الحزن]

↓ ↓ ↓

الماضي الحاضر المستقبل

فالشاعر يعاني الحزن و الغربة في هذه اللوحة الشتوية الباردة التي يغيق في منتصفها على ضربات القدر العنيفة ، يحس بها خلف جدران حجرته الباردة ، فيدرك أنه (الموت جاء) لينهي عذابات النفسية و البدنية ، و لكن الصفحة تطول فهو لا يملك سوى ذلك (الانتظار الثقيل) ، فيقوم ذلك الوافد الغريب المحتوم باستدعاء (الطفلة / الموت) التابع لذلك الجلاد ، لعله يتمم بالراحة و الموت ما عجزت عنه الحقنة و يسكن عنها الألم .

" إن وجودنا الحياتي وسلوكنا هذا الاتجاه بأن مفهوم الزمان ينساب في اتجاه واحد نحو الأمام ، وأن المستقبل يتحول إلى حاضر و الحاضر يصير ماضيا ، و إذا كنا نستطيع أن نتذكر الماضي فإننا لا نستطيع أن نتنبأ بالمستقبل ، إن

---

[1] د. وجيه فانوس – دراسات في حركية الفكر الأدبي ص ٥٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مفهوم انسياب الزمان كالخط له بعد واحد هو الطول ، وكما لا نستطيع أن نفكر في الخط بوصفه كيانا متصلا أو بوصفه تتابعا من النقاط نستطيع أن نعتبر الزمان تتابعا من اللحظات instant أو انسياب متصل للحظة واحدة سواء تحركت الأشياء أو بقيت ساكنة سواء نمنا أو استيقظنا ، إننا نؤمن بوجود اللحظة الحاضرة الآن و حركتها للأمام حتى تصبح اللحظة مستقبلا ثم تتحول إلى ماضي "[1]

يفعل الزمن فعلته في نفس الشاعر ، حيث يظل مشدودا قلقا بين :

(الجسد الكسيح العليل) ← بواقعه المادي المؤلم

(أشواق الروح المحلقة) ← بشفافيتها المجردة

والسياب شديد الاعتقاد بالمثل العربي القائل : (زمانك عمرك) ، ولهذا يأتي الموت و هو طريح أعزل بلا سلاح أو جدران يعصمه من تلك الجراب والفؤوس التي بدأت في نقب الجدار ، وكأنها تنقب وتحز في جسده عبر الجدار ، فلا منقذ و لا فرار – لهذا المحاصر – من تلك اللحظة الفارقة التي ستفقده (زمنه / عمره) . ولهذا تتجمد اللحظة الزمنية حيال هذا الانتظار الثقيل للقدر المحتوم . و " الشعر بهذا التصور يكون ساحة يصطخب فيها الجدل بين عناصر الثبات و عناصر الحركة ،ساحة تفنى فيها عناصر و تتخلق عناصر غيرها ، و تتحد فاعلية العناصر المتولدة بمقدار ما تقتص من رؤى و مقدار ما تحتوي من إمكانات الكشف و طاقات التغيير . و من هذا المنطلق يمكن دراسة

---

[1] د. كريم زكي حسام الدين – الزمان الدلالي – ص ٢٤ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قصيدة أو مجموعة قصائد الشاعر متميزة عن طريق تقصي أبعاد العلاقة التي تحكم الثبات بالحركة في شعره " [1]

يقول الكتبي في قصيدة (رقة تتمزق) من ديوان (أزهار و أساطير) :

وأحسرتاه !؟ كذا أموت ؟ كما يموت لدى الصباح ؟

.....

كم ليلة ناديت باسمك أيها الموت الرهيب

وودت لا طلع الشروق علي إن مال الغروب

بالأمس كنت أرى سهادك لعبة من خلقك الـ

راقصن أمام الفناء .. فيها الدم و اللهيب !

بالأمس كنت أصيح : خلني في الظلام إلى ذراعك

واعبر بي الأحقاب وليرحل الـ من شراعك

خلني إلى شفتيك علني أرتوي من راح الشفاء ..

ثم الزمان على الزمان ، هباء ، وذابا في شفاعك .

.....

و اليوم حييت الحياة إلى ، وابتسم الزمان

في ثغرها ، وطفا على أهدابها الخد و الحنان –

.....

يا للنهاية حين تعدل هذه الرقة الأكيل

بين السعال ، على الدماء ، فيختم الفصل الطويل

و الحفرة السوداء تفغر ، باتطفاء النور ، فاها –

---

[1] اعتدال عثمان – إضاءة النص – ص ٨٠ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إني أخاف .. أخاف من شبح تخبئه الفصول !!
وغداً إذا ارتجف الشتاء على ابتسامات الربيع
وانحل كالظل الهزيل وذاب كاللحن السريع ،
و تفتحت بين السنابل - وهي تحلم بالقطيع
و الناي - زنبقة ، مددت يدي اليها في خشوع
و هويت أنشقها فتصعد كلما صعد العبير ،
من صدري المهدوم حشرجة فتحترق العطور
تحت الشفاه الراعشات و يطفأ الحقل النضير
شيئاً فشيئاً .. في عيوني ثم ينقلب الأسير !! [1]

الشاعر تحاصره أحاسيس تتأرجح بين اليأس و الرجاء ، اليأس من الحياة و إيقاعها الزمني الرتيب ، و الرجاء في إمكانية الشفاء من مرضه العضال الذي أصاب شبابه و عمره في مقتل . لهذا يبدأ السياب قصيدته بالحسرة النازفة على انقضاء زمنه الخاص ،فتعلو نبرة الاستفهام الممزوجة بالحيرة و الشجن : (كذا أموت ؟ كما يجف ندى الصباح ؟) فلا يمنعه هذا الترقب المشوب بالغضب من تلك الرقة و العذوبة التي تجعل حياته أقرب إلى ندى الصباح الذي – حتما – ستجف قطراته الرطبة بعد أن تشرق شمس الحقيقة على الكون .

يقدم السياب صوره الشعرية أقرب ما تكون إلى (لقطات فوتوغرافية) تتباعد جذورها الزمنية بقدر إحساس الشاعر بالمحنة التي تعتصر (وقته / زمنه / عمره) الخاص ، و لكنها تندفع متدفقة متوحدة لتنصب جميعها – كعوامل ضغط – في نفس الشاعر فتعمق من جراحه و تزيد من أزمته .

---

[1] السياب – الأعمال الكاملة – م ١/٤٣ - ٤٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" إن الصورة الشعرية تكشف عن اكتمال الرؤية ، كما تكشف عن قصورها أو اضطرابها أو افتعالها ، وسيكون هذا ترتيبا على الموقع الذى اختاره الشاعر – لا إراديا أو بوعي منه – لموقعها " (١).

وبمنطق التقسيم الرياضي يقوم الشاعر بتقديم محنته مع الزمن ، وكأنه يعرض لمسألة منطقية عقلية نتيجتها معلومة سلفا ، فهى معطيات رياضية عناصرها (الألم والعجز والمرض) ، لهذا فبرهانها المنطقي الوحيد هو حتمية determinism (الموت والفناء) . بعد أن يستفهم السياب راقصا : (كذا أموت ؟) يعرض تقسيماته الزمنية الموزعة – على الترتيب – بين :

(الأمس / اليوم / غدا) حيث يعانق حزنه ، ويصارع مرضه ، موته الخاص الذي لا شريك له فيه ولا نصير . " والأديب مهما توفر على موضوعه الذي هو بصدده ، ومهما كان موضوعه ذاتيا بعيدا عن نفسه وعن محيطه وزمنه ، ومهما أحكم فيه الفكر السليم والرأي المنزه ، لا يخلو من أن يكون معبرا في عمله الأدبي عن ذاته ، مصدرا عن طبيعته ، وهى طبيعة يتفق فيها مع الآخرين إلى حد ، ويختلف عنهم في بعض نواحيها "(٢).

السياب إذن شاعر مأزوم ، مشدود بين نبوة المستقبل المبهم واستقراء أحداث الماضي الأليم ، لهذا تأتي معالجته الفنية لإشكالية الزمن إشكالية أكثر من كونها تأملية ، فهي تدور في فلك المحنة و النجيعة الذاتية ، كما عبر عنه في القصيدة كالتالي :

(بالأمس) : كنت أرى / كنت أصيح / نام الزمان على الزمان .

(اليوم) : حببت الحياة إلي / ابتسم الزمان / أخاف من شبح تخبئه الفصول .

---

(١) د . محمد حسن عبد الله – الصورة وبناء القصيدة – ص٤٤ .
(٢) فخري ابو السعود – في الأدب المقارن – ص ٢١٢

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(غدا) : إذا ارتجف الشتاء / مددت يدي إليها / ثم ينفلت الأسير .

" هكذا اعتبر النص الأدبي وثيقة نفسية تقوم مقام لوحة إسقاط في عيادة التحليل النفسي " [1]

يستخدم الشاعر تعبيرات : (كنت أرى / كنت أصيح) في حديثه عن الأمس ، دلالة على أن زمنية الأمس حملت في طياتها مسببات الحياة من رؤية و صياح ، و يؤدي هذا إلى صيغة أو حالة زمنية خاصة يعبر عنها الشاعر بقوله : (نام الزمان على الزمان ، به ، وذابا في شعاعك) فهي حالة يغفو فيها الزمان الذاتي الخاص بالشاعر على الزمان الكوني العام ، ثم يذوبا في (الشعاع / الأمل) حيث يتحد :

الذاتي / زمان الحركة الإنسانية في ⟵ العام/ زمان الحركة الكونية .

يمتزج الخاص مع العام في بوتقة الأمل و الرجاء ، بعيدا عن المرض و الموت المرتقب ، و " لا شك أن الفناء هو المعضلة الضخمة و اللغز المستغلق لمام الإنسان ، منذ بدأ يعي نفسه الفانية ، و يدرك مظاهر الكون حوله ، الشمس و القمر والنجوم ، والأرض و البحر ، الجبال و الغابات ، العواصف و الأمطار ، وكلها تبدو له قوية وخالدة . و إذا كانت غوامض الكون قد فسرتها له أساطيره ، فإن غريزة حب البقاء قد دفعته إلى خلق أساطير جديدة ترمز إلى البحث عن الخلود ، أو توهم السبيل لكشف حجبه ، و فك طلاسمه " [2]

هذه الغريزة – حب البقاء – هي التي دفعت السياب إلى أن يعيش موزقا مهموما بحركية الزمن و آلياته في الأمس و اليوم والغد ، مما جعله يخلق من

---

[1] د. عبد السلام المسدي - الأسلوبية و الأسلوب – ص ٢٠٠ .

[2] د. ماهر حسن فهمي – السيرة تاريخ و فن – ص ١٩ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

زمنه الفني و النفسي أسطورة زمنية خاصة به تبحث في أسباب الحياة و مرجعية التعلق بها ، حيث يستخدم السياب تعبيرات : (حببت الحياة إلي / ابتسم الزمان / أخاف من شبح تخبئه الفصول) . فهو على الرغم من تعلقه بأسباب الحياة ، و توهمه الأمن لابتسام الزمان ، إلا أن النفس ما زالت تعاني من التردد الزمني المرهق المرتاب ، بخوفها و قلقها من أشباح الفصول . وهو يستخدم تعبير الفصول دلالة على الزمن الدائري الذي يتردد بين درامية (الحياة / الموت) . لهذا تأتي تعبيراته عن (الغد) وهي تحمل هذا القلق ، ثم التسليم بالنهاية أو الواقع الحتمي حيث يقول :

(ارتجف الشتاء / ينفلت الأسير) . و نلاحظ هنا ما يحمله فصل الشتاء من دلالات زمنية عند الشاعر ، حيث يرتبط الشتاء – دائما – بالمرض و الموت ، وكأنه المعادل الموضوعي objective correlative لانقضاء العمر ، (فالشتاء / الموت) يحمل بأجوائه و برودته ما يصيب جسد المتوفي من برودة بعد موته ، و انطفاء جذوة حياته و حرارة دمه ، لهذا فإنه يعبر عن هذه الحالة من الموات و الفقد بقوله : (ينفلت الأسير) و كأن روحه الشفافة حبيسة جسده العليل أن لها أن تنفلت من إسارها و تكسر قيودها لتحلق في زمن آخر أكثر رحابة ، يحقق له العافية و الخلود .

إتلاف البدن (المرض) ← التآزم

قهر الزمن(الموت) ← الإيلام

تحرر و انفلات الروح (الخلود) ← الانفراج

" إن العمل الفني هو بمعنى من المعاني تحرير للشخصية ، إذ تكون مشاعرنا – بصورة طبيعية – مكبوتة مضغوطة . إننا نتأمل عملا فنيا ، فنشعر بشيء

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من التنفيس عن مشاعرنا بل إننا لا نشعر بهذا التنفيس فحسب – و التعاطف نوع من التنفيس عن المشاعر – و لكننا نشعر أيضا بنوع من الإعلاء ، والعظمة و التسامي . وهنا يكمن الاختلاف الأساسي بين الفن و الإحساس العاطفي ، فالإحساس العاطفي تنفيس عن المشاعر ، و لكنه أيضا نوع من الارتياح و ارتخاء الوجدان . والفن أيضا تنفيس عن المشاعر ، و لكنه تنفيس منشط مثير . فالفن هو علم اقتصاد الوجدان "[1]

يقول السياب في قصيدته (سفر أيوب) من ديوانه (منزل الأقنان) و التي كتبها على هيئة يوميات – ١٩٦٢/١٢/٢٦ : ١٩٦٢/١/٢ – خلال رحلة علاجه المضنية في مستشفيات لندن قبل وفاته بشهور :

لك الحمد مهما استطال البلاء
و مهما استبد الألم ،
لك الحمد ، إن الرزايا عطاء
و إن المصيبات بعض الكرم .
ألم تعطني أنت هذا الظلام
وأعطيتني أنت هذا السحر ؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر
و تغضب إن لم يجدها الغمام ؟
شهور طوال و هذي الجراح
تمزق جنبي مثل المدى
و لا يهدأ الداء عند الصباح

---

[1] هربرت ريد – معنى الفن – ص ٢٣ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و لا يمسح الليل أوجاعه بالردي .

.....

في لندن الليل موت نزعه السهر
و البرد و الضجر
و غربة في سواد القلب سوداء .
يا رب يا ليت أني لي إلى وطني
عود لتلثمني بالشمس أجواء
منها تنفست روحي :طينها بدني
و ماؤها الدم في الأعراق ينحدر
يا ليتني بين من في تربها قبروا .

.....

و الزمان ارتماء بدون انتهاء
تزفر الأرض عنه و تبكي السماء .
رب ، هل لي إلى منزلي من رجوع ؟
كم أمد الزراع و أهدم سقف الضلوع
لا أمس المدى أو أصوب الزمانا ،
فهو شيء على الروح يسعى : هباء و ظلمه .
ليت عصر النبوات لم يطو حلمه ...
وشت المعجزات الحواشي فكانت و كنا .

.....

البرد و همهمة النار

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و رماد المدفأة الرمل

تطويه قوافل أفكاري .

أنا وحدي يأكلني الليل . [1]

نلاحظ في هذا الاستهلال ما يقق و استلهام الشاعر لسيرة النبي أيوب ، وما تحويه من مضامين (الابتلاء / التسليم بالقضاء / الصب/ ترقب المعجزة..) حيث يقدم السياب ذلك الزمن الذي تأباه النفس ، حين يتحدث عن فترة مرضه الطويل " وهو يستعين على وجه الخصوص بقصة أيوب ، لأنها تشبه في كثير من الوجوه تجربته الخاصة ، حيث ابتلته الأقدار بمرض قاس أليم كما ابتلت أيوب ، وكان عليه أن يصبر و يتحمل كما صبر واحتمل تعبيرا عن قوة إيمانه ، و في قصيدته الطويلة (سفر أيوب) في ديوانه منزل الأقنان تعبير عن هذه التجربة التي جعلت منه أيوبا معاصرا حيث كان يعالج في لندن " [2]

و ما بين الصبر على البلاء ، و التسليم بالقضاء ، يطرح السياب إشكاليته الزمنية مع هذا الامتداد الزمني المقيت : (شهور طوال وهذى الجراح تمزق جنبي مثل المدى) . و بين امتدادات الزمن نحو الخارج ، و انكماشاته نحو الذات ، يتقلب الشاعر العليل بين أزمنة المحنة الخاصة ، حيث يسلمه (الصباح إلى الليل) ، و هو المشطور بينهما بالعذاب و الألم ، فلا يهدأ الوجع في النهار ، و لا ينهى الليل آلامه بالموت ، حتى يصل الشاعر إلى تمني الموت صراحة في غير موضع من القصيدة حيث يقول : (و لا يسمح الليل أوجاعه بالردى / يا ليتني بين من في تربها قبروا) . ولكن " الموت / الأمل " لا يأتي لينقذه من

---

[1] السياب ـ الأعمال الكاملة ـ م ٢٤٨/١ ـ ٢٦٦ .

[2] رجاء النقاش ـ أدباء معاصرون ـ ص ٢٨٣ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

آلامه البدنية الموجعة ، و آلامه النفسية العميقة ، في هذه الغربية السوداء بمستشفيات لندن .

و " قد اتضح أن التجربة الشعرية ليست مجموعة من المعاني المتفاوتة يفرغها الشاعر في قوالب من الشعر كيف يشاء ، و إنما هي كل وجداني متماسك متناسق تتبادل أجزاؤه التعاون في التعبير عنه ، فلكل جزء دلالته ، و هي دلالة ترتبط بالكل ارتباطا عضويا ، دلالة لا تقصد لذاتها ، و إنما ليتم بها و بدلالات أخرى تصوير حالة وجدانية بجميع عناصرها و شعبها ، و هي حالة أحسها الشاعر بل عاشها معيشة عميقة حتى استبانت له بجميع دقائقها و تفاريعها . فالمشاعر و المعاني و الألفاظ و الإيقاعات الموسيقية تتوالد في نفسه ، و تتدفق فيها وحدة تمتد من فاتحة التجربة إلى خاتمتها في توالد دقيق و سياق محكم ، ولكل بيت مكانه المرقوم ، فلا فوضى و لا تشويش ، إنما بناء كله نظام و التئام ، وكله ضبط و إحكام "[1]

السياب يمر عليه الوقت بطيئا ممتدا بظلاله الكئيبة الثقيلة ، يتهشه آلام علته الدنية ، و تكلله أوجاع غربته بعيدا عن وطنه العراق ، فيشكو تراخي الزمان وعدم محدوديته حيث يقول : (والزمان ارتماء بدون انتهاء) و حيث يمر الزمان بطيئا ثقيلا ، و يعجز الطب و الدواء عن التخفيف من آلامه و أوجاعه يبحث عن معجزة تخرجه من محنته ، ولكن هذا الأمل ما يكاد يبرق حتى يختفي ، فلا هو عصر معجزات النبوة و لا هو الذي أعدته حتى تتحقق معه مثل هذه المعجزة التي تكفل له الشفاء و تنقذه من الآلام (ليت عصر النبوات لم يطو حلمه .....).

---

[1] د. شوقي ضيف – في النقد الأدبي – ص ١٤٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وبعد أن تخبو بارقه (الأمل / المعجزة) يجد الشاعر نفسه – وحيدا – في مواجهة الزمن مرة أخرى :

الليل / الشتاء

↓ ↓

الظلمة / البرد

↓ ↓

المرض / الغربة

يتحول الشفاء عند السياب إلى معجزة ، والموت إلى أسطورة ، يذوب الزمن في الزمن و لا يجد الشاعر إلا الارتداد الزمني لمواجهة هذا التوغل و الارتداد الذي يعانيه في زمنه الخاص ، ويحاول خلق أسطورة خاصة به ، تماما كقصة النبي أيوب الذي تحول إلى أسطورة في الصبر الذي تتفجر معه المعجزة وتابيع شفاء . هذا و قد " تناول السياب في شعره رموزا من أساطير تعددت منابعها ، و تنوعت أصولها ، و كثرت الإشارات إلى هذه الأساطير كثرة تلفت انتباه قارئه ، من جهة ، و تعمي عليه الهدف ، و تفسد تتابع المعنى و ترابطه .. لذلك فقد كان للأسطورة نصيب كبير فيما شاع من الغموض في شعر السياب بخاصة و في الشعر الحر بشكل عام .. و إذا استقرأنا الرموز الأسطورية في شعر السياب وجدناها تنتمي إلى ثلاثة أصول متميزة ، فهو يستقي بعض رموزه من الأساطير الوثنية القديمة ، و بخاصة من الأساطير اليونانية ، و البابلية و الآشورية . ثم إنه يلجأ في بعض الأحيان إلى بعض ما توارثه العرب من أساطير أو ما شاع في الأدب الشعبي منها ، و أخيرا فهو يستخلص بعض

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

رموزه مما ذاع لدى أصحاب الديانات السماوية الثلاث من قصص فيعالجها معالجة تضفي عليها كثيرا من الملامح الأسطورية" [1]

و هذا الزمن المتوتر الضاغط الذي يثقل كاهل الشاعر ، يتحالف مع علته وغربته ، و بخاصة في ليلة كهذه الليلة الشتوية الباردة في أحد مستشفيات لندن يقول السياب : (البرد و هسهسة النار / أنا وجدي يأكلني الليل) .. ففي الليل تتجلى محنته ، وتتعاظم عذاباته المرضية المؤلمة – المتجددة في كل ليل- حيث يأكله الليل وتلوكه آلام المرض ، فيحس بأوجاعه وأسقامه ، وينصت فيسمع صوت جسمه ونفسه بين أضلعهما- علته وغربته- التي لاترحم آهاته المكتومة وعظامه التي تتآكل مثل هسهسة النار المتقدة في حطب الشتاء البارد . وهنا تكتمل الصورة الشعرية ، أو لنقل الرمزية بين البرد والنار ، الليل والشتاء :

الجزئية : (ضوء الفجر / ظلمة الليل) ← (الحطب / البطن)

المحسوسة : (حرارة النار / برودة الشتاء) ← (الانشراق / التجمد)

المعنوية : (هسهسة النار / زمجرة الريح) ← (أنين وآهات مكتومة)

" إن الصورة الشعرية هي انبثاق من اللغة . فهي على الدوام تحلو قليلا على لغة التواصل العادية . وهذا حين نحلل الأشعار التي نقرؤها فإننا نحس تجربة الانبثاق المدهشة . ولكن أفعال الانبثاق تتكرر ، وبهذا يصبح الشعر اللغة في حالة انبثاق حيث تهب الحياة مرئية عبر حيوية اللغة المنبثقة . إن هذه الدوافع اللغوية المتميزة عن اللغة اليومية هي مصدرات الدفع الحيوي " [2]

---

[1] د. علي البطل – الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب – ص ٦٩ .
[2] غاستون باشلار - جماليات المكان – ص ٢٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تتكامل العناصر المكونة للصورة الشعرية ، وتتضافر لتشكل عوامل ضغط خانقة على نفسية الشاعر ، ولكنها تتأرجح- غير مستقرة- كقنديل نور معلق بين السماء والأرض تعبث به الريح ، تماما كما يتأرجح الشاعر بين اليأس والأمل أو بين الثنائيات المتعارضة- [الليل/ النهار- الصيف/ الشتاء- الظلمة/ النور- الشروق/ الغروب- الحرارة/ البرودة- المرض/ الشفاء- الحياة/ الموت ....] – التي تخنق الشاعر ، وتعتصره بين شقي رحاها ، تسلبه العافية ، فينتشبث بالعفو ، تحرمه الرقاد بالليل ، فيرنو إلى بزوغ الفجر ، تجمد أوصاله برودة الشتاء فيغوص في أغوار نفسه ، يفتح خزائنها ، يستخرج من مكامنها ما يمنحه الدفء ، تهدد حياته وتسرق عمره وشبابه ، فيلجأ إلى التمرد على آلية الزمن وحركيته ، مر بتسليمه بالقضاء المحتوم- وأخرى يتعلقه بالأمل العجزة في زمن طوى فيه عصر النبوات و المعجزات .

تلخص رحلة العلاج التي قطعها السياب بين (العراق / بيروت / لندن / الكويت) محنة الشاعر الكبرى مع زمن المرض وتركب الموت ، ولكن الإحساس بالزمن أو الموت يختلف عند السياب حيث يأتي صوته هادئا وهو يرقد في أحد المستشفيات العربية ، غير ذلك الإحساس المرير الممزوج بالغربة والفقد المتواصل ، حيث يأتي صوته زاعقا وهو يعاني في مستشفيات لندن الباردة الكئيبة . يقول السياب في قصيدته (نداء الموت) من ديوان (منزل الأقنان) والتي كتبها في بيروت :

يمدون أعناقهم من ألوف القبور يصيحون بي:

أن تعال ،

نداء يشق العروق ، يهز المشاش ، يبعثر قلبي رمادا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" أصيل هنا مشعل في الظلال

تعال اشتعل فيه حتى الزوال " .

جدودي وآباني الأولون سراب على حد جفني تهادى .

وبي جذوة من حريق الحياة تريد المحال .

.....

وتدعو من القبر أمي " بني احتضنى فبرد الردى في عروقي

فنفء عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر ، واحم

الجراح

جراحي بقلبك أو مقلتيك ولا تحرفن الخطى عن طريقي "

ولا شئ إلا إلى الموت يدعو ويصرخ ، فيما يزول ،

خريف ، شتاء ، أصيل ، أفول .

وباق هو الليل يمتد تطفأ البروق

وباق هو الموت ، أبقى وأخلد من كل ما في الحياه .

فيا قبرها افتح ذراعيك .....

إني لآت بلا ضجة ، دون آه ! [1]

هكذا يقوم السياب - لا إراديا - بالتركيز على عالمه الخاص وهمومه الذاتية في فترة مرضه ، ويقترب الشاعر من انقضاء أجله ، فيرتد - زمنيا - ليرتمي في أحضان أمه المتوفاة ، بعد أن أصبح الموت معجزة ومطلبا ، يتعلق به الانفلات

---

[1] السياب - الأعمال الكاملة - م١/٢٣٦-٢٣٧

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من قيود زمنه المريض ، واللقاء بأمه التي فقدها صغيرا ، وأحس بحاجته إليها عليلا .

يقول السياب : (وتدعو من القبر أمي بني احتضني) ، ولايجسد هذا الاستسلام حالة اليأس بقدر ما يعبر عن حالة الخروج من هذا المعترك الزمني الخانق ما بين (خريف ، شتاء ، أصيل ، أفول) كلها أزمنة – على الرغم من تعاقبها – خانقة تكبل الشاعر وتجعله حبيس جسده العليل ، ونفسه المفعمة بالأمل . لهذا يأتي الليل مرادفا للموت ، فيقول السياب:(وباق هو الليل / وباق هو الموت) . ويقتنص الشاعر هذه الفرصة في هذا الترادف- الذي أرهقه كثيرا- بأن يلبي تلك الدعوة وذلك النداء الذي تلقاه من آلاف القبور في بداية النص ، حيث يقول في ختام القصيدة : (فيا قبرها افتح ذراعيك .. إني لآت بلا ضجة ، دون آه) . هكذا يتحول الشاعر من حالة ترقب الموت – خلال مرضه- إلى حالة السعي نحو هذا المرتقب ، يشجعه اشتياقه للقاء أمه . ولهذا فهو قادم إلى (قبره / موته / أمه) بلا ضجة احتضار ، أو آهة ألم ، بعد أن جسد السياب هذا القدوم في صورة شعرية أشبه باللوحات التشكيلية التجريدية بداية من تلك الأعناق التي تنشق عنها ألوف القبور تدعوه بالمجئ وكأن هذا أوان المجئ في بداية النص ، وحتى ولوجه في قبر أمه بلاضجة ودون آه مع نهاية الأبيات .

" ولما أصبح اللاشعور مصدرا للإبداع الشعري بدرجة تزيد عن مرجعية الشعور ولما استعان الشاعر بمعطيات الفنون الأخرى واستغل إمكاناتها لصالح التجربة الشعرية ، لاسيما الرسم والموسيقى ، كان من الطبيعي أن تتولد للقصيدة الشعرية معمارية بنائية جديدة ... وبمنظور جمالي جديد ، قد فرض أهمية التشكيل الشعري بقدر لا يقل عن المضمون الشعري وتعالت النداءات

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

النقدية المجددة الرافضة لفكرة تقسيم العمل الشعرى إلى شكل ومضمون فكان النص الشعرى بكل معطياته هو سبيل النقاد " [1] .

في قصيدة السياب (أمام باب الله) من ديوانه (المعبد الغريق) يمكننا أن نرصد حالة الإعياء والتفوط النفسى الناجمة عن الألم البدنى . حيث يقول :

منطرحا أمام بابك الكبير

أصرخ ، في الظلام ، أستجير :

يا راعى النخل في الرمال

وسامع الحصاة في قرارة البحر .

أصوح فالرعد في مناكب السهول

كأهة الجبار .

.....

منطرحا أمام بابك الكبير

أحس بالكسارة الطاعون في الضمير .

أثور ؟ أغضب ؟

وهل يثور في حماك مذنب

لا أبتغى من الحياة غير ما لدى :

.....

أريد أن أعيش في سلام :

كشمعة تذوب في الظلام

بدمعة أموت وابتسام .

---

[1] د. محمد نجيب التلاوى – القصيدة التشكيلية في الشعر العربي- ص ٢٦٢

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تعبت من توقد الهجير

.....

تعبت من صراعي الكبير

.....

تعبت من ربيعي الأخير

أراه في اللقاح والأقاح والورود ،

أراه في كل ربيع يعبر الحدود .

تعبت من تصنع الحياة

أعيش بالأمس ، وأدعو لغدي .

كأنني ممثل من عالم الردى

تصطاده الأقدار من دجاه

وتوقد الشموع في مسرحه الكبير ،

يضحك للفجر وملء قلبه الهجير .

تعبت كالطفل إذا أتعبه بكاه !

.....

منطرحاً أصيح ، أنهش الحجار :

" أريد أن أموت يا إله ! " [1]

بعد أن يصاب الشاعر باليأس من أبواب المستشفيات وأسرة العلاج ، لايجد هذا المريض المتعب المكدود أرحب ولاأرحم من باب الله ليقف على أعتابه باكيا في حزن ، صارخا في غضب ، راجيا في خشوع ، أملا في زمن مغاير جديد

---

[1] السياب- الأعمال الكاملة- م١/١٣٥-١٣٩ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يولد الراحة من رحم التعب والإجهاد . ومن خلال هذه التجربة المعاشة الصادقة يوظف السياب (وعائية الزمن) ، بعد أن قام بتوظيف(ثنائيته الزمنية) في قصيدة (سفر أيوب) ، حيث يضمن الشاعر هذه الزمنية معاني الطمأنينة والرضا بعد أن غلبت عليه نبرة الاستسلام والقنوط ، هذا لأنه الآن يتعايش مع محنته الذاتية بشكل أقرب إلى الصوفي ، أو الطفل المتيقن من وجود الأب الذي يسارع بنجدته وانقاذه ولو في آخر لحظة " وهكذا نرى أن التجربة – التي هي محرك الأديب ومضمون أدبه وصلب مادته – تبدأ من الذات ، ثم تتداح وتتسع إلى أن تشمل الإنسان والكون ... والمراد بصدق التجربة أن يحسها الأديب بالفعل إحساسا يسيطر عليه ، ويدفعه دفعا إلى التعبير ... وليس المراد بصدق التجربة هذا الصدق الواقعي ، الذي يفرض أن يكون الأديب قد عاش – في الحياة- الأحداث التي يعبر عنها ، أو عرف في الواقع الأشخاص الذين يصورهم ، أو سمع بالفعل الحوار الذي يجريه . وإنما المراد بالصدق ، الصدق الشعوري الذي يغمر وجدانه ويملأ عليه نفسه " [1] .

ولكن معالجة السياب هنا- على الرغم من صدق تجربته – تأتي انفعالية أكثر من كونها تأملية للذات في مواجهة الزمن ، ولهذا فإنه لم يقل في بداية القصيدة : (واقفا أمام بابك الكبير) ، ولكنه فضل استخدام لفظة أخرى تكون أشد تأثيرا وأعمق دلالة على هذا الإيلام أو التأزم الذي يعانيه حيث قال:

(منطرحا أمام باب الكبير) . ويبلغ تكثيف التجربة مداه عند استخدام الشاعر لمجموعة من الأفعال المضارعة- بدلالاتها الزمنية المطلومة – التي تتصاعد صوتيا ، تماما كما يبدأ الألم بسيطا هينا ، ثم يتصاعد حتى يعم البدن كله بشكل

---

[1] د. أحمد هيكل- في الأدب واللغة – ص١٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لا يستطيع احتماله ، حيث تأتى هذه الأفعال في القصيدة على الترتيب التالى : (أصرخ / أستجير / أصيح / أحس / أثور / أغضب / أبتغى / أريد أن أعيش في سلام / أموت / أصارع / أتابع / أراه / أدعو / أود / أسعى / أريد أن أموت يا إله) . وهكذا تتوالى هذه الأفعال صعوداً وهبوطاً في نبرتها بحسب إحساس الشاعر ، وكمية الألم التي تملكت من نفسه ، وذلك اليقين الذي يملأ روحه ، فأتت ونبرتها يشكل متموج ، ما يكاد يهدأ- كالأنين المكتوم- حتى يعلو متصاعداً- كالصراخ والصياح – أو العكس .

وبين قول السياب : (أريد أن أعيش في سلام) وقوله : (أريد أن أموت يا إله) تكمن محنته مع المرض والموت ، وبينهما ذلك الزمن الذي أرهقه وأنهك قواه البدنية والنفسية . و " لكن إرادة الإنسان وقدرته على الخوض في صراع دائم مع تلك القوى الخارقة شئ يكفل له الاحترام ... فالإنسان أعظم نبلا مما يقتله وذلك لأنه يعلم أنه يموت ...إن احترام التراجيديا للإنسان نبع من ضعف الإمكانية الإنسانية ومن قوة بالإرادة نفسها ، فالإنسان مهما كانت قوته فإن القوى الغيبية القدرية أكثر منه قوة ، ومن طريق التحدي بالإدارة ينشب الصراع بين القوتين وينتصر القدر ويعاني الإنسان ويقاسي من هذا الإنتصار ، ثم يحاول الارتفاع بنفسه فوق مستوى هذه الكارثة القدرية التي تحل به في حين أنه لا يستطيع أن يهزمها أو يهرب منها ". (١)

هكذا يصارع السياب قدره الزمني المنساب بالألم والمرض وترقب الموت ، فيما يشبه الملحمة الذاتية الخاصة أو الإنسانية العامة . يحاول – عاجزاً – أن يحدث التآلف بين المتناقضات الزمنية الخانقة حيث يقول: (أعيش بالأمس ،

---

(١) د. فوزى فهمى- المفهوم التراجيدي والدراما الحديثة- ص ٢٣ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وأدعو أمسى الغدا) لهذا فهو يمس بالتعب مع كل لحظة زمنية تمر عليه ، فنراه يردد لفظ (تعبت) في غير موضع من القصيدة بدلالات زمنية مختلفة : (تعبت من توقد الهجير / تعبت من ربيعي الأخير / تعبت من تصنع الحياة / تعبت كالطفل إذا أتعبه بكاه) . وفي النهاية يصل إلى نتيجة مؤداها أن الموت هو الحل ، فيطلب الموت من الإله : (أريد أن أموت يا إله) حيث يصبح الموت لحظة انتصار على المرض والظلم والألم ، فالموت هو معجزة الشاعر الخاصة بعد أن أصبح منطرحا – في أخريات حياته – يتصنع الحياة ، يدافع عن مجرد بقائه حيا . " وبهذا التوازن الذي يحققه الفن بين الوعي واللاوعي ، بتطابق الرغبة بينهما ، يتيح لنا أن نعيش التجربة بكل ما فيها من لذة رهيبة ، وأن نتأملها بعقولنا الواعية لنستطيع الحكم عليها . فالفن بهذا المعنى تجربة حياة ننطلق بعدها إلى الحياة الحقيقية ونحن أكثر استعدادا لها وعلما بما فيها " . [1]

يقول السياب في قصيدة (ليلة في العراق) من ديوانه (شناشيل ابنة الجلبي) والتي كتبها بالبصرة عام ١٩٦٣ :

ويمضي بالأسى عامان ، ثم يهدني الداء ....
تلاقفني الأسرة بين مستشفى ومستشفى
ويلتقني الحديد .
ومن دمي ملأ الأطباء
قناني وزعوني في القناني : تصبغ الصيفا
دمائي والشتاء .
وذات صبح قيل إن الشر قد نحرا

---

(١) د. شكري عياد- البطل في الأدب والأساطير- ص ٥٧ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وذاك معاقل الطاغوت في بغداد أبطال

فقلت : سأوقد القمرا

سراجاً عند بابي : إنه ظفري ، أما قالوا

بأن الشر قد دحرا ؟

وعدت إلى بلادي . بالنقالات إسعاف

حملن جنازتي !! متمدداً فيها أنن رأيت (غيلانا)

يحدق ، بانتظاري ، في السماء وغيمها السافي .

وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا

ويفجأني النذير بأن أعواماً من الحرمان والفاقة

ترصد بي هنا في غابة الخوذ الحديدية

غريق في عباب الموج تنحب عنده الفاقه

تئن الريح في سعف النخيل ، عليه ... ترثيه .

فصاغته الحزينة بين أوراق من الدفلى أو الصفصاف تبكيه ! [1]

يعود السياب إلى العراق بعد تنقله- للعلاج – بين مستشفيات بيروت ولندن طوال عامي ١٩٦١ – ١٩٦٢ ، يعود وقد ازدادت آلامه ، وتعمقت جراحه ،ولم تضف إليه هذه الرحلة العلاجية سوى الاغتراب عن الأهل والوطن ، وإحساسه الوثيق بدنو أجله أكثر من ذي قبل ، فهو ينعت هذه الأعوام التي مرت به – صحيحاً وعليلا – بالأسى يقول : (ويمضي بالأسى عامان) وكان السياب يقدم تقريراً عما حدث له في العامين الفائتين ، ملخص ذلك التقرير يعرضه في عبارات متتابعة مكثفة ، تماما كتلك التقارير الطبية التي ترافقه في حله وترحاله

---

(١) السياب – الأعمال الكاملة – م١/ ٦٢٥ – ٦٢٩ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

، ولاتمنحه عباراتها سوى الأسى والحزن والملال : (يهدني الداء / ثلاثني الأسرة / يعلكني الحديد / وزعونى في القناني / ... يفجأني النذير) . وهكذا يلخص السياب سنوات عمره كلها ، أو بالأحرى يكثف صموده أمام تقلبات الزمان : التي تبدأ بـ (يهدني الداء) ← وتنتهي بـ (يفجأني النذير) . وبين انهياره البدني المنهك ، وانقضاء أجله – حين يفاجأه نذير الموت – يلعب الزمن دوره الأساسي في نفس الشاعر على مختلف مستوياته لإتمام تجربته الذاتية :

- الماضي : استقراء لأحداث الماضي الأليمة
- الحاضر : وما فيه من محنة مرضية معاشة
- المستقبل : والذي يحمل نبوءة الفقد والموت

و" ليست التجربة في بنائها الرمزي تطويحا وثرثرة وزخرفة بتمويق بلاغي وإنما هي كالسراب المتلفع بأردية تضاعف هاوراءه الإثارة حيث تسقط كل زخارف المادة اللغوية ولايبقى إلا عصب التجربة ينبض بنبض كالجرح بما يسيل من دلالات وعندما الدلالات يستحيل ترجمتها إلى معنى محدد لكونها طاقة خالقة يستحيل تحديدها تحديدا صارما" (١)

ينتظر السياب الزمان الآتي بعد عودته إلى الكويت فيصور وصوله كعملية متممة لمراسم تشييع جنازته ، ويتوقع الاتزيد الأيام المتبقية له في الحياة عن أسبوعين وبعدها يستريح من الأرق والألم ؛ ولكن هذه الأيام أو الفترة الزمنية الباقية مغموسة في الأسى ، ومملوءة بالحزن ، يتجرعها – بلا إدمان – حتى آخر نقطة وجع حيث يقول : (وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا) وعليه

---

(١) د . رجاء عيد – دراسة في لغة الشعر رؤية نقدية – ص ٤٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أن يصبر ويتجرع هذه الكؤوس الزمنية المملوءة بالألم والحزن ، حتى يفاجأه النذير ليخرجه من هذه المحنة الدنيوية التي أسكرته ، إلى عالم آخر ينعم فيه بالغبطة والإفاقة والعافية . " وكما تستعمل الرمزية للتعبير عن الحالات النفسية المركبة العميقة بفضل ممكنات اللغة وعملية نحت الصور والأخيلة منها – فإنها قد تتخذ أيضا في الشعر الغنائي ذاته منهجا أوسع من جزئيات الرموز والتعبيرات ، وذلك بفضل الخيال الخالق الذي يستعين به الشاعر لتصوير رؤى شعرية تعبر عن مكونات النفس وخواطرها " [1]

يتحول الزمن عند بدر السياب إلى (رمز إشارى) و (معادل موضوعى) لأحاسيس مختلفة ممزوجة بالحزن :

- لإحساسه المرير بالحرمان واليتم في ماضيه الفائت .
- ومحنته المرضية القاسية الأليمة في حاضره الآنى .
- وترقبه للموت الآتى في مستقبله القريب المنظور .

والشاعر موزع ، ممزق ، بين الماضي الفائت ، والحاضر الآنى ، والمستقبل المنظور ، يحاول لملمة نفسه والتشبث ببعض الأمل ، الأمل في أن يأتى هذا الموت المرتقب سريعا لينقذ هذه الروح الشفافة من ذلك الجسد العليل .

تشكل العاطفة الرومانسية المتدفقة أحد الجوانب المؤثرة في شعر بدر شاكر السياب ، وبخاصة في تلك المرحلة المبكرة من حياته الفنية ، حيث يمكننا ملاحظة هذه النبرة الوجدانية المتصاعدة في ديوانه الأول (أزهار وأساطير) ، تلك النبرة الانفعالية الحادة التي تهدأ مرحليا – مع توالى نشر دواوينه التالية .

---

[1] د. محمد مندور – الأدب ومذاهبه – ص ١١٥ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ربما يعود ذلك إلى نضج الوعي ، أو عمق التجربة التي اكتسبها الشاعر مع تطور مراحل حياته وعمره القصير ، وتلك المحنة المرضية التي ألمت به ، وتمكنت منه حتى الممات ، وانتقل معها الشاعر – بوعيه – من مرحلة النبرة الانفعالية ، إلى مرحلة النظرة التأملية و" يشار إلى الوعي ، اجتماعيا بوصفه انجلها انعكاسيا للعقل ، أي بوصفه الأداة التي تمكن الإنسان من الإلمام بالذات ، بالآخر ، فيما يشار إلى الشعور أو الإحساس بوصفه خبرة انفعالية تجاه الآخر أو اتجاه أحد متعينات الوجود . ومن الجلي إذن أن الخبرة الانفعالية في هذه الحالة تلعب دورا بارزا في تشكيل الوعي ، وفي تطويره أيضا ، على حين يقوم الوعي – بوصفه بنية مشكلة قابلة للتطور – بتوجيه الخبرة الانفعالية ، وتقوم مسارها وفقا لطريقته " [1]

منذ المراحل الأولى والسياب يؤرقه الزمن ، ويخيفه الوقت ، وكأنه أحس بقصر العمر فراح يفند زمنه ، ويتوقف – منفعلا ومتأملا – أمام وقته الفائت المعدود ، المحسوب من أجله . يقول الشاعر في قصيدة (إتبعيني) من ديوان (أزهار وأساطير) معبرا عن هذا الترقب الزمني الرومانسي المأزوم :

إتبعيني

فالضحى رانت به الذكرى على شط بعيد

حالم الأغوار بالنجم الوحيد

وشراع يتوارى ، و " اتبعيني "

همسة في الزرقة الوسنى .. وظل

من جناح يضمحل

---

(1) د. وليد منير – نص الهوية قراءة في محمود درويش ، ص 9.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

في بقايا ناعسات من سكون

في بقايا من سكون

في سكون !

.....

أمس جاء الموعد الخاوي ... وراحا ،

يطرق الباب على الماضي ... على اليأس ... عليا !

كنت وحدي ... أرقب الساعة تقتات الصباحا

وهي ترنو مثل عين القاتل القاسي إليا –

أمس ... في الأمس الذي لا تذكرينه

ضوأ الشطآن مصباح كئيب ... في سفينة

واختفى في ظلمة الليل قليلاً فقليلا ،

وتناءت ، في ارتخاء وتوان

غمغمات مجهدات ، وأغاني

وتلاشت ، تتبع الضوء الضئيلا .

أقبلي الآن ... ففي الأمس الذي لا تذكرينه

ضوأ الشطآن مصباح كئيب في سفينة

واختفى في ظلمة الليل قليلاً فقليلا . [1]

يلجأ السياب إلى هذا التدرج الصوتي الذي يواكب إحساسه بالتدرج الزمني في تحديد الإطار العام للصورة الشعرية التي يحاول رسمها أكثر من محاولة وصفها ، ويمهد الشاعر لهذه الصورة وهذا التدرج (الصوتي / الزمني)

---

[1] السياب – الأعمال الكاملة – م١/٣٨- ٤١ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بتعبيرات رومانسية رقيقة ، تشكل خلفية مناسبة لصورته الشعرية أهم ملامحها يحدده بمفردات :

(الضحى / الذكرى / النجم / القط / الشراع / همسة / الزرقة الوسنى/ جناح)

وينهى السياب صورته الشعرية – بعد عرضه لهذه التفاصيل الرقيقة – بهذا التدرج الذي ينتهي بحالة مقصودة من التدرج الصوتي والزمني حتى تتلاشى خاصية الصوت والزمن في النهاية ، حيث يعرضها بقوله : (في بقايا ناعسات من سكون / في بقايا من سكون / في سكون) . ولم يكن في هذا العرض ما يبرر أرق الشاعر أو تأزمه من هذا التدرج الزمني أو الصوتي ، حتى يفاجئ القارئ بهذا الانفلات الزمني البائس ، اليائس من تحقيق أي شئ في هذه الوتيرة الزمنية الضاغطة . " والواقع أنه ربما كان من السهل دراسة الإيقاع في الموسيقى وكشف هذه القوانين بسهولة فيها لأنها فن زماني تتضح فيه الصورة الأولى ولا تختلط بشئ وكذلك الشأن في التصوير حيث يمكن تمثيل هذه القوانين في توزيع المساحات والأضواء والظلال . أما في الفن القولي فإن استكشاف هذه القوانين أمر من الصعوبة بمكان لأن الصورة الأولى هنا زمانية مكانية في وقت معا ... ولذلك كان من الطبيعي أن نبحث عن هذه القوانين كما يمكن أن تتمثل في الصورة الصوتية وكما يمكن أن تتمثل في الصورة المكانية " [1]

يجعل السياب (الأمس / الماضي) مرادفا لمعاني الفقد واليأس الليلي: (أمس جاء الموعد الخاوي وراحا، يطرق الباب على الماضي ... على اليأس ...عليا) . وهو يعاني من هذه المترادفات ، وهذه (الأزمنة المحنة) التي تصيبه بالخواء

---

[1] د. عز الدين إسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي – ص ١٨٧ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

واليأس والوحدة حيث يقول : (كنت وحدي أرقب الساعة تقتات الصباحا وهي ترنو مثل عين القاتل القاسي إليا). على هذه الحالة من الوحدة واليأس ، يرقب الساعة ،كأنه يرقب النهاية أو الموت الذي يفقد معه جدوى الأمس واليوم والغد ، والأمل حتى في تلك المواعيد الخاوية . كل ذلك بعد أن تتحول الساعة إلى قاتل متوحش ، ما يكاد ينتهي من التهام الصباح ،حتى يلتفت إلي الشاعر برمقة بعيون كلها قسوة وجفاء ، ورغبة في القتل والتدمير . وهذا جوهر إشكالية السياب مع الزمن الذي لا يحمل في تفاصيله – سوى الوداع والفقد ، الكآبة والضوء البعيد الشحيح : (واختفي في ظلمة الليل قليلا قليلا) . فالمصباح الكئيب شحيح الضوء هو مبعث هذا الضوء الذي يمكن أن يحمل بعض الأمل ، يبقع الليل أنواره شيئا فشيئا. يقول السياب في قصيدة (في ليالي الخريف) من ديوان (أزهار وأساطير):

في ليالي الخريف الحزين،

حين يطغى على الحنين

كالضباب الثقيل

في زوايا الطريق

.....

في ليالي الخريف

حين أصغي ، ولا شيء غير الحفيف

ناحلا كانتحاب السجين

.....

في ليالي الخريف

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حين أصغي وقد مات حتى الحفيف

والهواء –

.....

في ليالي الخريف الطوال ،

آه لو تعلمين

كيف يطفى على الأسى والملال !

في ضلوعي ظلام القبور السجين ،

في ضلوعي يصيح الردى

بالتراب الذي كان أمي :"غدا

سوف يأتي فلا تلقني بالنحيب

عالم الموت حيث السكون الرهيب !"

سوف أمضي كما جئت وا حسرتاه !

سوف أمضي .. وما زال تحت السماء

مستبدون يستنزفون الدماء ،

سوف أمضي وتبقى عيون الطغاة

تستمد البريق

من جذى كل بيت حريق والتمام الحراب

في الصحاري ، ومن أعين الجائعين ،

سوف أمضي .. و تبقى فيا للعذاب !

سوف تحيين بعدى ، وتستمتعين

بالهوى من جديد ،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قبل . " ولكن لا الخيالي ولا الرمزي يمكنهما إدراك الواقع(The Real) إدراكا كاملا ، إذ يظل هذا الواقع في مكان ما بالخارج بعيدا عن مطا لهما. وتتشكل حاجاتنا (Needs) الغريزية بواسطة الخطاب الذي نعبر به عن مطلبنا في الإشباع ، غير أن صياغة الخطاب لحاجاتنا لا تؤدى إلي الإشباع بل إلي الرغبة التي تستمر في سلسلة الدوال فعندما أعبر (أنا) عن رغبتي بكلمات فإن الأنا الخاصة بي تواجه دائما عقبات من هذا اللاشعور الذي لا يكف عن الإلحاح بالاعيبه الجانبية خلال بدائل وإحالات إستعارية وكنائية تراوغ الوعي ، لكنه - أي اللاشعور – يتكشف في الأحلام والنكات والفن " [1] .

ويقدم السياب وقت الليل – بظلمته وكآبته – وكأنه المرادف النفسي للموت الذي حتما سيفاجئه ذلك الخفي – كما يتصور – إبلا تحت جنح الظلام ، حيث يقول في قصيدة (الأم والطفلة الضائعة) من ديوانه (المعبد الغريق) :

قفي ، لا تغربي ، يا شمس ، ما يأتي مع الليل
سوي الموتى . فمن ذا يرجع الغائب للأهل
إذا ما سدت الظلمات

.....

مضى أزال من الأعوام : ألاف من الأقمار ، والقلب
يعد خوافق الأنسام ، يحسب أنجم الليل،
يعد حقائب الأطفال ، يبكى كلما عادوا
من الكتاب والحقل .

.....

---

[1] رامان سلدن – النظرية الأدبية المعاصرة – ص ١٣٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مضى قُرُنٌ من الدهور ، منذ وقفت في الباب
أنادي ، لا يرد علي إلا الريح في الشباب
تمزق صيحتي وتعيدها ..... والدرب مسدود [1]

يحاول السياب أن يحرر نفسه التواقة للانطلاق من هذه القيود المرضية التي تكبل حركته ، وتؤجج الأمه ، والتحرر من قيوده الزمنية الدورية التي تجعله حبيس وقته ولحظته . وبين قيود المرض والزمن يضيع السياب ، ولا يجد لروحه السابحة نزاً في زمن مقهور ، ووطن مستباح .

في هذه القصيدة لا يتمالك الشاعر على ظلمة مناجاته ، يقدر بكائه على نفسه المتألمة ، على زمنه الضائع بين الهاوية المظلوة والوطن المهان . لهذا نجد شريرجو شمس عمره أن تتوقف عن الغروب : (قفي ، لا تغربي ، يا شمس) . ولأنه يخاف من النهاية وانقضاء العمر ، فهو يخاف الليل الذي يخفي الموت تحت جناحه المظلم الكئيب : (ما يأتي مع الليل سوى الموتى) . ويوظف السياب التدرج – اللفظي والمعنوي – العاطفي ليصل بالقارئ إلى حالة أقرب إلى التوافق العاطفي مع هذه الأم التي ضاعت طفلتها ، وهو في الحقيقة يتعاطف مع محنة الشاعر ومأزقه الزمني الضاغط . وجاء هذا التدرج عبر مجموعة من الأفعال المضارعة :

(يعد ← يحسب ← يبكي)
↓ ↓ ↓

(يعد خوافق الأنسام / يحسب أنجم الليل / يبكي كلما عادوا) .

---

(1) السياب – الأعمال الكاملة – م ١/١٥٣-١٥٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سوف أنسى وتنسين إلا صدي

من نشيد

في شفاه الضحايا – وإلا الردى [1]

يستبدل السياب هذه المرة فصل الشتاء – وما فيه من معاناة مؤلمة- بفصل الخريف ، وهو استبدال مقصود ينهي به مرحلة من (عمره / زمنه) ، ليدخل في حالة أخرى ومرحلة جديدة من الذبول والسقوط الخريفي ، تذبل فيه عافيته ، وتتساقط أيامه الباقيات كما تتساقط أوراق الشجر الصفراء في فصل الخريف. وتبلغ (حركية)[2] الزمن الضاغطة مداها مع تعاقب الفصول ، حيث يخرج الشاعر نفسه من حالة (الكمون الزمني) الشتوية ليستبدلها بحالة أخرى من (القلق الزمني) الخريفية .

في تلك الليالي الخريفية التي ينعتها الشاعر بالحزينة ، يخالجه الحنين ، ويطبق على صدره كما يطبق الضباب الثقيل على جنبات الطريق الكئيبين. وهنا تتضافر عناصر الصورة (الصوتية / الحركية / اللونية) وتتعانق رموزها في الطبيعة مع دلالاتها عند الشاعر :

---

(1) السياب – الأعمال الكاملة – م١ /٦٥ -٦٩

(2) الحركية : " مفهوم مزدوج يقتضي عنصر الزمن وعنصر التغير عبر الزمن ، فهو مفهوم لا يتنزل إلا في التاريخ ويقتضي تطورا ما . فالحركية تنفي الاستقرار والجمود أي اللاحركة"- د. عبد السلام المسدي -الأسلوبية و الأسلوب – ص ١٤٩ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(تفاصيل الصور المنعكسة من الطبيعة علي الشاعر)

عناصر الصورة	في الطبيعة	عند الشاعر	الدلالة
الزمن	ليالي الخريف	أيام عمره الأخيرة	الذبول
الصوت	حفيف الشجر	دقات الساعة بالليل	↓
الحركة	تساقط أوراق الشجر	حركة بطول الساعة	السقوط
اللون	الشرائط المكسوة بالورق الأصفر	وجهة الأصفر المريض	↓ الموت

ينصت الشاعر لصوت حفيف الشجر في تلك الليالي الخريفية ، وكأنه يرقب زمنه المنقضي، حيث يتحول الحفيف إلي ما يشبه دقات الساعة الحربية. يقول: (في ليالي الخريف حين أصغي ، و لا شيئ غير الحفيف) ، حتى هذا الصوت الكئيب الرتيب الذي يشق سكون الليل يصيبه الضعف والوهن فيموت . يقول : (في ليالي الخريف حين أصغي وقد مات حتى الحفيف) .يتلاشى الصوت ، ينمحي ، يموت ، وعند هذة اللحظة الزمنية يحس بالسكوت والذبول والموت يعصف بكل شيء :

أوراق الشجر ← دقات الساعة ← نبضات القلب.

يعبر السياب عن هذه الإشكالية الزمنية في قصيدة أخري من نفس الديوان ، جاءت تحت عنوان(نهاية) ، حيث يستكمل هذه الصورة الشعرية ويتم الربط

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والمزج بين إحساس الشاعر بآلام المرض وترقب الموت ، وبين دقات الساعة المنتظمة الرتيبة وتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف قائلا :

" سأهواك حتى....." نداء بعيد
تلاشت ، على قهقهات الزمان
بقاياه في ظلمة.. في مكان ،

.....

أصيخي إلى الساعة الثانية :
" سأهواك حتى ..... " بقايا رنين
تخدرن دقاتها العاتية ،
تجدين حتى الغدا ،
" سأهواك" ما أكذب العاشقين !

.....

ظلام.. وتحت الظلام المخيف
ذراعان تستقبلان الفضاء
أبعد اصفرار الخريف
تريدين ألا يجيء الشتاء ؟
لقاء ولين الهوى يا لقاء ؟!

.....

ويا رب حلم يهيل الزمان
عليه الرؤى والسنين والثقال
فتمضي ويبقى شحوب الهلال

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يلون بالأرجوان
شحوب النجوم ومست القمر ،
ويومض في كل حلم جديد –
شحوب الهلال وظل الشجر
وطيف الشراع البعيد ؟ [1]

في هذه الليلة الكئيبة الطويلة يغلب على الشاعر أحاسيس الفقد والأسى والملل ، يشعر بسريان زمن الموت في عروقه ، بظلمة القبر تسكن بين جوانحه وضلوعه ، يشم رائحة رفات أمه المتوفاة منذ زمن ليس بقصير .

فإذا كان(الأمس) لا يحمل سوي الألم ، و (اليوم) لايأتى معه إلا الملل، (فالغد) لا يعنى عند السياب سوي الموت أو السكون الرهيب على حد تعبيره : (غدا سوف يأتي . فلا تقلقي بالنحيب . عالم الموت حيث السكون الرهيب) . وأشد ما يحزن الشاعر أنه ولد وعاش وسيموت ، دون أن يغير أي شيء ، أو يتبدل من حوله أي شيء عبر حياته - زمنه القصير - التي اقتطعها من عمر الدنيا والكون فسوف يرحل تاركا خلفه نفس الظلم و الاستبداد والطغاة : (سوف أمضي .. وما زال تحت السماء مستبدون يستنزفون الدماء) . وهنا تتعانق هموم الشاعر الذاتية مع قضاياه العامة ، في فترة شغل فيها بالوطن وقضايا النضال الاجتماعي والقومي .

وتتبدل الصورة الشعرية المنعكسة من العراق – بهمومه وقضاياه المؤقتة – على الشاعر المهموم بمحنته وصراعه الذاتي مع (المرض / الزمن / الموت) في ملحمة زمنية خاصة بالسياب ، تعكس نظرته للواقع من حوله ، ولنفسه من

---

[1] السياب- الأعمال الكاملة م١ /٨٨-٩٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قبل . " ولكن لا الخيالي ولا الرمزي يمكنهما إدراك الواقع(The Real) إدراكا كاملا ، إذ يظل هذا الواقع في مكان ما بالخارج بعيدا عن مطالبهما. وتتشكل حاجاتنا (Needs) الغريزية بواسطة الخطاب الذي نعبر به عن مطالبنا في الإشباع ، غير أن صياغة الخطاب لحاجاتنا لا تؤدى إلي الإشباع بل إلي الرغبة التي تستمر في سلسلة الدوال فعندما أعبر (أنا) عن رغبتي بكلمات فإن الأنا الخاصة بي تواجه دائما عقبات من هذا اللاشعور الذي لا يكف عن الإلحاح بالاعيبه الجانبية خلال بدائل وإحالات إستعارية وكنائية تراوغ الوعي ، لكنه - أي اللاشعور - يتكشف في الأحلام والنكات والفن " [1] .

ويقدم السياب وقت الليل - بظلمته وكآبته - وكأنه المرادف النفسي للموت الذي حتما سيفاجئه ذلك الخفي - كما يتصور - إبان تحت جنح الظلام ، حيث يقول في قصيدة (الأم والطفلة الضائعة) من ديوانه (المعبد الغريق) :

قفي ، لا تغربي ، يا شمس ، ما يأتي مع الليل
سوى الموتى . فمن ذا يرجع الغائب للأهل
إذا ما سدت الظلمات

.....

مضى أزال من الأعوام : ألاف من الأقمار ، والقلب
يعد خوافق الأنسام ، يحسب أنجم الليل،
يعد حقائب الأطفال ، يبكى كلما عادوا
من الكتاب والحقل .

.....

---

[1] رامان سلدن – النظرية الأدبية المعاصرة – ص ١٣٢ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مضى أزل من السنوات ، منذ وقفت في الباب
أنادى ، لا يرد علي إلا الريح في الخراب
تمزق صيحتي وتعيدها ..... والدرب مسدود [1]

يحاول السياب أن يحرر نفسه التواقة للانفلات من هذه القيود المرضية التي تكبل حركته ، وتؤجج الأمه ، والتحرر من قيوده الزمانية المورثة التي تجعله حبيس وقته ولحظته . وبين قيود المرض والزمن يضيع السياب ، ولا يجد لروحه السابحة برا في زمن مقهور ، ووطن مستباح .

في هذه القصيدة لا يتخلى الشاعر عن ذاته ، يقدر بكائه على نفسه الثانية ، على زمنه الضائع بين الطاغية المتجبرة والوطن المهان . لهذا فهو يرجو شمس عمره أن تتوقف عن الغروب : (قفي ، لا تغربي ، يا شمس) . ولأنه يخاف من النهاية وانقضاء العمر ، فهو يخاف الليل الذي يخفي الموت تحت جناحه المظلم الكئيب : (ما يأتي مع الليل سوى صوتي) . ويوظف السياب التدرج – اللفظي والمعنوي – المنطقي ليصل بالقارئ إلى حالة أقرب إلى التوافق العاطفي مع هذه الأم التي ضاعت طفلتها ، وهو في الحقيقة يتعاطف مع محنة الشاعر ومأزقه الزمني الضاغط . وجاء هذا التدرج عبر مجموعة من الأفعال المضارعة :

(يعد ← يحسب ← يبكي)
↓ ↓ ↓

(يعد خوافق الأسلم / يحسب أنجم الليل / يبكى كلما عادوا) .

---

(1) السياب – الأعمال الكاملة – م ١/١٥٣-١٥٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" وإذا كانت اللغة تعبيرا عن فعل ، فهي بالتالي دعوة إلي الفعل أي أنها ذات وظيفتين وظيفة لدى المعبر ووظيفة مطلوب استثارتها لدى المتلقي . وهذا هو جوهر عملية الاتصال من خلال التفاعل " (١)

فالسياب تؤرقه تلك المسألة العددية الحسابية التي يقدم معطياتها من السنوات والأعوام ، النجوم والأقمار ، وعندما يتيقن من برهانها ونتاجها النهائي المنطقي يبكي علي سنوات عليلة مضت ، وعلي أيام قليلة باقية من عمره القصير . وبهذا اليقين والنتاج المنطقي يتحول الزمن عند السياب إلي قضية فلسفية ، ونظرة تأملية ، أكثر من كونه محنة مرضية مؤلمة أو ترقب موت قريب ، حيث يقول في قصيدته (أفياء جيكور) التي كتبها في قريته جيكور – مارس ١٩٦٢ ، قبل خروجه من العراق لرحلة علاجية بين لبنان وانجلترا والكويت ، بعد أن اشتد به الألم ، وتملك منه المرض :

جيكور ..... ماذا ؟ أنمشي نحن في الزمن
أم أنه المتلفي
ونحن فيه واقف ؟
أين أوله
وأين آخره ؟
هل مر أطوله
أم مر أقصره المحتك في الشجن
أم نحن سيان ، نمشي بين أحراش

---

(١) د: مصري حنورة – الأسس النفسية للإبداع الفني – ص٥١

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كانت حياة سواها في الحياجر ؟
هل أن جيكور كانت قبل جيكور
في خاطر الله ... في نبع من النور ؟
جيكور عندي غشاء الظل والزهر ،
عندي بها بابل أفكاري لأنساها .

.....

ردى أتاني ولم يأتي بمنتصب من النابين
كلا على السفر
إلا وما جاء
يرتادها الرخ ريح ذات أمراس [1]

مع اقتراب النهاية ، يكثر السياب من طرح التساؤلات التي تثير في نفسه – والقارئ – عدة قضايا فلسفيه وإشكاليات عقلية حول الإنسان ، وعلاقته بالزمن وحركيته : (أنمشي نحن في الزمن أم أنه الماشي ونحن فيه وقوف ؟) . وعندما يفشل في كشف حقيقة العلاقة ، ويجهده السؤال ، ويبهره أكثر عدم وقوعه علي إجابة ، تعتصره المتناقضات ، وتلوكه المتضادات ، فتأكله الغربة التي التهمت (أبا زيد) ، ويضيع في بحار التيه كما ضاع (السندباد) . وفي النهاية تتصهر كل هذه المتناقضات وتتجاور المتضادات في تعبير (أم نحن سيان ؟) الذي يستوي فيه كل شئ بعد أن يذوب الإنسان في الزمن ، أو يذوب الزمن في الإنسان :

---

(1) السياب – الأعمال الكاملة – م ١ / ١٨٦ – الديوان

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(أنمشي) نحن في الزمن ← أم أنه الماشي ونحن فيه(وقوف) ؟

أين (أوله) ← وأين (آخره) ؟ أم نحن (سيان) ؟

هل مر (أطوله) ← أم مر (أقصره) ؟

" ومن هنا فإن الرمز الشعري يختلف عن الرمز اللغوي المتمثل في الألفاظ اللغوية باعتبارها رمزا لمعاني محددة ، والرمز الرياضي ، وسواهما من الرموز الإشارية ذات المدلول المحدد ، فالرمز الشعري – خلافا لهذه الرموز – لا يشير إلي شئ محدد معين يتفق الجميع عليه ، وإنما يوحي بحالة معنوية تجريدية غامضة لا يمكن تحديدها ، ومن ثم فإن الناس يختلفون إختلافا بينا في فهم الرموز الشعرية – والأدبية عموما - بينما يتفقون أو يكادون علي فهم الرموز اللغوية - من حيث هي ألفاظ تشير إلي مدلولات محددة – والرموز الرياضية "[1]

يوجد السياب من هذه الدائرة الطاحنة من المتضادات الزمنية أن تكشف عن دورانها الذي أصابه بالدوار والغثيان والسقوط ، ليعود من جديد إلي وطنه ونفسه حين يرد إلي زمنه ويعيش عمره . وعندها ينادى راجيا :

(ردى أبا زيد / ردى السندباد) . فلم يجد الشاعر – وهو يعاني محنة المرض وترقب الموت – أعمق من هذه الأساطير لإسقاطها على تجربته الذاتية والوطنية مع الضياع والفقد ، وتعبيرها المباشر عن حالة التيه الزمني التي يعانيها " ومن ذلك نستطيع أن نحكم على الأسطورة في الأدب بأنها النوع الوحيد الذي تتحقق فيه الحركة الكاملة بالنسبة إلي الكاتب المبدع . وكثيرا ما

---

[1] د : علي عشري زايد – عن بناء القصيدة العربية الحديثة – ص ١١٢

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يجد الكاتب فيها سجلا لكل مواطنه وبث أحاسيسه وتوصيل آرائه . وفيها المنجى من كل الصعوبات التي يواجهها الأديب الذي يريد أن يخاطب المجتمع بصراحة " [1]

بعد أن يفقد الشاعر الأمل في كل شئ (الشفاء / الحياة / البقاء) حيث عرف حقيقة مرضه القاتل في أثناء علاجه ببيروت في شهر يونيو عام ١٩٦٢ م ، يدرك أن شمسه آن لها أن تغرب ، وفجره آفل لا محالة ، ومعركته مع الزمن قد انتهت في غير مصالحة . لهذا فهو يرثي زمنه ، ويرثي نفسه في قصيدة (رجل النهار) من ديوان (منزل الأقنان) ، حيث يقول فيها :

رجل النهار

هذا فراشك باسط أطرافه

وجناحك الخافق ملقى دون فراشه

وجلست تنتظر من عودة مندهشا من انتظاره

والبحر يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود .

هو لن يعود ،

أوما علمت بأنه أنذرته آلهة البحار

في قلعة سوداء في جزر من الصمت والصخار

هو لن يعود

رجل النهار

فلتراعني ، هو لن يعود

.....

رجل النهار

---

[1] د : عبد الفتاح الديدي ـ الخيال الدرامي في الأدب الغنائي ـ ص ٩٢

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هيهات أن يقف الزمان ، تمر حتى بالجلود

خطي الزمان وبالحجار .

رحل النهار ولن يعود .[1]

ينعى الشاعر زمنه وحياته التي تنساب من بين ضلوعه ، وهو يحس بها كالمحتضر الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة في لحظاته الباقية ، لهذا تتردد عبارة (رحل النهار) أكثر من عشر مرات في النص . وكما ذكرنا فإن الليل لا يعني عند السياب سوى الموت ، لذلك فإن ترديد الشاعر لعبارة (رحل النهار) تنم عن انقضاء العمر وضياع (الزمن / الحياة) بعد هذة الرحلة المريرة مع المرض والعجز . وتتبدل بذلك دعوة السياب التي كان يوجهها في قصيدته (أفياء جيكور) مطالبا برد السندباد : (ردى السندباد) ، إلى الإقرار بأن السندباد قد ضاع في البحر ، وابتلعته أمواج الزمن الغادر : (وجلست تنتظرين عودة السندباد ... هو لن يعود ، رحل النهار) . فلا حاجة – بعد ذلك – ولا جدوى من الانتظار ، فالكل ضاع (الزمن / الوطن / السندباد) ، لأن الجميع ابتلعته عجلة الزمن التي تدور مسرعة بلا توقف ولا رحمة :

(هيهات أن يقف الزمان) .

ويرحل نهار السياب في ١٩٦٤/١٢/٢٤ م عن عمر يناهز ٣٨ عاما في أحد مستشفيات الكويت ، لتنفلت روحه من إسارها الجسدي العليل ، وتنطلق سابحة في أفق أرحب ، وتسكن آلامه الطويلة التي لازمته وسكنت جسده النحيل ، وكأنها ولدت معه .

---

[1] السياب – الأعمال الكاملة – م ١ / ٢٢٩ – ٢٣٠

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المصادر والمراجع

** أولا المصادر

١ـ بدر شاكر السياب الأعمال الكاملة – المجلد الأول – دار العودة – بيروت ١٩٧١ م

٢ـ بدر شاكر السياب الأعمال الكاملة – المجلد الثاني – دار العودة – بيروت ١٩٧٤ م

** ثانيا المراجع

٣ـ د : احمد هيكل – في الأدب واللغة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م

٤ـ اعتدال عثمان – إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨ ط ٢

٥ـ د : رجاء عيد – دراسة في لغة الشعر رؤية نقدية – منشاة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩ م

٦ـ رجاء النقاش – أدباء معاصرون – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٨ م

٧ـ سامي خشبة – مصطلحات فكرية – المكتبة الأكاديمية – القاهرة – ١٩٩٤ ط ١ .

٨ـ د : شكري عياد – البطل في الأدب والأساطير – دار المعرفة – القاهرة – ١٩٥٩ م

٩ـ د : شوقي ضيف – في النقد الأدبي – دار المعارف – القاهرة – ١٩٦٢ ط ٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

" وإذا كانت اللغة تعبيرا عن فعل ، فهي بالتالي دعوة إلي الفعل أي أنها ذات وظيفتين وظيفة لدى المعبر ووظيفة مطلوب استثارتها لدى المتلقي . وهذا هو جوهر عملية الاتصال من خلال التفاعل " [1]

فالسياب تؤرقه تلك المسألة العددية الحسابية التي يقدم معطياتها من السنوات والأعوام ، النجوم والأقمار ، وعندما يتيقن من برهانها ونتائجها النهائي المنطقي يبكي علي سنوات عليلة مضت ، وعلي أيام قليلة باقية من عمره القصير . وبهذا اليقين والنتاج المنطقي يتحول الزمن عند السياب إلي قضية فلسفية ، ونظرة تأملية ، أكثر من كونه محنة مرضية مؤلمة أو توقيت موت قريب ، حيث يقول في قصيدته (أغاني جيكور) التي كتبها في قريته جيكور – مارس ١٩٦٢ ، قبل خروجه من العراق لرحلة علاجية بين لبنان وانجلترا والكويت ، بعد أن اشتد به الألم ، وتملك منه المرض :

جيكور ..... ماذا ؟ أنمشي نحن في الزمن
أم أنه العدم
ونحن فيه وقوف ؟
أين أوله
وأين آخره ؟
هل مر أطوله
أم مر أقصره الممتد في الشجن
أم نحن سيان ، نمشي بين أحراش

---

[1] د: مصري حنورة – الأسس النفسية للإبداع الفني – ص٥١

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كانت حياة سواها في الحواجر ؟

هل أن جيكور كانت قبل جيكور

في خاطر الله ... في نبع من النور ؟

جيكور عندي غشاء الظل والزهر ،

سدي به بابل الأنهار لأسيا ها .

ردى أبي إذ لم يصب من الناس

ظلا على الدغل

إلا وما عاد

زنبار المدى يارق الغيم في جذر

يرتادها الرخ ريح ذات أمراس [1]

مع اقتراب النهاية ، يكثر السياب من طرح التساؤلات التي تثير في نفسه – والقارئ – عدة قضايا فلسفيه وإشكاليات عقلية حول الإنسان ، وعلاقته بآلية الزمن وحركيته : (أنمشي نحن في الزمن أم أنه الماشي ونحن فيه وقوف ؟) . وعندما يفشل في كشف حقيقة العلاقة ، ويجهده السؤال ، ويرهقه أكثر عدم وقوعه علي إجابة ، تحتصره المتناقضات ، وتلوكه المتناقضات ، فتأكله الغربة التي التهمت (أبا زيد) ، ويضيع في بحار التيه كما ضاع السندباد) . وفي النهاية تتصهر كل هذه المتناقضات وتتجاور المتناقضات في تعبير (أم نحن سيان ؟) الذي يستوي فيه كل شئ بعد أن يذوب الإنسان في الزمن ، و يذوب الزمن في الإنسان :

---

(1) السياب – الأعمال الكاملة – م ١ / ١٨٦ ، ١٨٧

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

١٠-د : عبد السلام المسدي – الأسلوبية والأسلوب – دار سعاد الصباح – الكويت – ١٩٩٣ ط٤ .

١١-د : عبد الفتاح الديدي - الخيال الحركي في الأدب النقدي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٠ م

١٢-د : عز الدين إسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٩٢ م

١٣ –د : علي البطل – الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب- دار حراء– المنيا -١٩٨٦ م

١٤-د : علي عشري زايد – عن بناء القصيدة العربية الحديثة -دار مرجان للطباعة – القاهرة – ١٩٧٨ ط ١ .

١٥-فخري أبو السعود – في الأدب المقارن – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧ م

١٦-د : فوزي فهمي – المفهوم التراجيدي والدراما الحديثة -الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨ م

١٧-د : كريم زكي حسام الدين – الزمن الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية- دار غريب – القاهرة – ٢٠٠٢ م

١٨ –د: ماهر حسن فهمي – السيرة تاريخ وفن – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٧٠ ط ١ .

١٩-د : محمد حسن عبد الله – الصورة والبناء الشعري – دار المعارف – القاهرة – د ت

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٢٠ـ د: محمد مندور ـ الأدب ومذاهبه ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٧ م ط٢

٢١ـ د: محمد نجيب التلاوي ـ الصورة التشكيلية في الشعر العربي ـ دار الفكر الحديث ـ القاهرة ـ د.ت

٢٢ـ د: مصطفى عبد الحميد كنورة ـ الأنس النفسية للإبداع الفني في الرواية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ م

٢٣ ـ د: وجيه فانوس ـ دراسات في حركة الفكر الأدبي ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ١٩٩١ م ط ١

٢٤ـ د: وجيه يعقوب ـ الرواية والتراث العربي ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٧ م

٢٥ ـ د: وليد منير ـ نص الهوية قراءة في محمود درويش ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣ م

<u>ثالثا :ـ المراجع الأجنبية المترجمة</u>

٢٦ ـ رالف فلدن ـ النظرية الأدبية المعاصرة ـ ترجمة د/ جابر عصفور ـ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٩٨ م

٢٧ ـ غاستون باشلار ـ جماليات المكان ـ ترجمة/ غالب هلسا ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ م ط٣

٢٨ ـ هربرت رید ـ معنى الفن ـ ترجمة/ سامي خشبة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٨م .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com